الجامعة والأســـــاتذة

للأســـــتاذ وديع فلسطين

أثار الصديق الأستاذ عباس خضر — في تعليقه على كلمة للأستاذ توفيق الحكيم — موضوع اختيار الجامعة المصرية (ونعني جامعتي فؤاد وفاروق) لأساتذتها ، فقال إن الجامعة لا تزال تقصر أمرها على أساتذتها ، ولست أدري هل فكرت في الانتفاع بأعلام الأساتذة غير الرسميين أو لم تخطر لها هذه الفكرة بعد ؟ والواقع أن هؤلاء الأعلام أساتذة في جامعة ليس لها مكان محدود ولا نظام موضوع .

وللتفكهة أذكر أن معهد التحرير والترجمة والصحافة في جامعة فؤاد فكر من بضع سنين في الاستعانة ببعض كبار الصحفيين المصريين للاشتراك في موسم محاضرات معهدية فيلقي كل منهم محاضرة عن اختباراته وتجاربه في الصحافة العملية ليكون للطلاب إلى جانب دراستهم النظرية إلمام عملي بالمهنة التي تهيئهم الجامعة لها بعد التخرج .

وأعدت قائمة بأسماء الأعلام من الصحفيين فذكرت فيها أسماء الأساتذة : كريم ثابت بك ، وعباس محمود العقاد ، وفؤاد صروف ، وطائفة أخرى . فاعترض المسؤولون في المعهد على هاتين الأسماء الثلاثة قائلين : إن أصحابها لا يحملون مؤهلات جامعية ، ولا تقرن أسماؤهم بألقاب مما تسبغه الجامعة على طلابها . وقد استبعد هؤلاء الثلاثة فعلا ، ولم يدعوا للاشتراك في هذا البرنامج الموسمي !

وبعد ذلك ، هل للمرء أن يسأل : كم من الصحفيين اللامعين الناجحين أخرجهم هذا المعهد الذي اقتصرت تبعة التدريس فيه على الأساتذة الجامعيين ؟

وبهذه المناسبة أذكر أن جامعة أمريكية سمت أن صياداً بارعاً قريب من دارها ، وأنه تضلع في صيد الحيوان البري والحيوان المفترس ، حتى سجل في هذا المضمار أرقاماً قياسية غير مسبوقة . فما كان من إدارة الجامعة إلا أن تعاقدت مع هذا الصائد الأمي ليلقي على طلاب علم الحيوان سلسلة من المحاضرات بلغة مفككة متخاذلة ركيكة يبسط عليهم فيها عادات الحيوان ومغامراته في صيده ومقابلات بين القوى البدنية لكل من هذه الكائنات الحية ؛ ولم تجد الجامعة ولا مجلس إدارتها ولا أساتذتها

بل أي مكان في المسجد أو البيت أو الشارع ، ومدرسوها من الفقهاء ، ولهم مكافأة سنوية عن التلميذ بعد نجاحه قدرها خمسة وسبعون قرشاً ، يصرف لهم خمسة وعشرون قرشاً أولا ، وخمسون قرشاً بعد النجاح .. !!

وهي بالأماكن الآتية : جده بالديوان بلانه . كتاب بابي سنبل ، فرقنيت أورجه بأرمنا . أبو راسيا بأرمنا ، مرواو بتوشكي غرب ، زيدات بتوشكي غرب . وادي السبيل بابي حنضل . الريجه بكرسكو ، النوبات بالسيالة ، الشيمة بقورته . دبنود بدابود .

ومفتش المعارف يلاقي كثيراً من الصعوبات في سبيل القيام بعمله في هذه الجهات كلها ، وذلك لتناثر هذه النجوع وتفرقها وبُعد المسافة بينها ، وكثرة المرتفعات والمنخفضات ، فلا بد والحالة هذه من الاستعانة بالباخرة البطيئة ، والمراكب الشراعية والمطايا ، ولا شيء غير هذا .

وقد يكون هذا الكلام غريباً على بعض الناس ، من الذين لا يعلمون شيئاً عن طبيعة هذه المنطقة ، أما الذين يعرفون هذه المنطقة ، وخدموا فيها فإنهم يدركون تمام الإدراك ما يعانيه المفتشون هناك من جهد وما يُقاسونه من نصب وتعب شديدين ...

وإذا أرادت وزارة المعارف خدمة العلم ومصلحة القائمين به وحرصت على نشر المعارف مخلصة في ذلك ، فعليها أن تخصص لمفتش المعارف باخرة صغيرة (رقاص) أسوة بما تعمله غيرها من من الوزارات ، كوزارة الصحة ، والأشغال ، أما إذا ظل الحال على ما هو عليه ، فلن تؤتي هذه المدارس أكلها كما يجب ، وان تعظم استفادة الأهلين منها ، فعلى ولاة الأمور أن يعطوا هذا الرجاء حقه من العناية والاهتمام ..!!

عبد الحفيظ أبو السعود

فى هذا التصرف عيباً ينتقص من قدرها ، وإنما عدته سبقاً وكسباً لم يتح مثلهما لجامعة أخرى .

ومن يدرى ، فقد يقوم بين رجال الجامعة من يسأل : وما هى مؤهلات شوقى الجامعية حتى ينشأ له كرسى باسمه فى كلية الآداب ؟ هل تخرج فى كلية الآداب ؟ أو هل منح درجات علمية معترفاً بها ؟

إن الحياة كثيراً ما تكون أقدر على إعداد المرء ثقافياً وعلمياً من الجامعة . وقد اعترف جورج برنارد شو بأنه لم يدخل جامعة ولا معهداً عالياً ، وإنه كان خامل الذكر فى دراسته الابتدائية . وعندنا فى مصر الأستاذ سلامه موسى ، فقد اعترف بأنه لم يهيىء لنفسه دراسة عالية نظامية فى جامعة أو فى سواها من معاهد الثقافة الرفيعة ، وإنما غرف ثقافته من العلم المشاع فى المكتبات مرتكناً على قوة ذاتيته وصدق عزيمته .

وأمامنا الأستاذ عباس محمود العقاد ، الذى يكفى أن يقدم كتاباً من كتبه — بغير اختيار — إلى الجامعة لينال عليه درجة الدكتوراه . ولكن هذا ان يحدث فى مصر ، لأن على الأستاذ قبل ذلك أن ينال درجة الليسانس ، تتلوها درجة الأستاذية ، ثم مرتبة الدكتوراه !

وعندنا كذلك الأستاذ فؤاد صروف الذى كان أول من كتب فى مصر عن تحطيم الذرة ، وفلق نواتها ، وإطلاق الطاقة الذرية من عقالها واستخدامها فى شؤون السلم وأمور الحرب . وكان من أقدر الذين تعمقوا فى درس علوم الطبيعة وسائر العلوم ، وله فى ذلك مؤلفات تنم عن تأصل وتثبت واقتدار . وكان من الذين ابتدعوا مصطلحات علمية لمترادفات لها أعجمية ، فقال عن الكاورفيل « البخضور » ، وعن الهيموجلوبين « اليحمور » ، وعن الأسمنت المسلح « الأرق » ، وعن الإيستوب « النظير » وما إلى ذلك ... وكل سفر من مصنفاته يعده بدون أدنى شك للظفر بدرجة الدكتوراه من أكبر جامعات العالم ، أما فى مصر فلا

وقد يذكر قراء الرسالة أنى اقترحت من نحو عام على جامعة فؤاد أن تمنح درجة الدكتوراه الفخرية لرواد الحركة الفكرية الحديثة فى مصر ولأقطاب السياسة وفقهائها المعاصرين . وذكرت يومها أسماء الأساتذة : فؤاد صروف ، وأحمد أمين بك ، وأحمد حسن الزيات ، وأنطون الجميل باشا ، وخليل ثابت بك ، وخليل مطران بك ، ومحمود تيمور بك ، وسابا حبشى باشا ، واسماعيل صدقى باشا ، وعبد العزيز فهمى باشا ، وقلت يومئذ : إن هؤلاء جميعاً يستحقون الدكتوراه الفخرية اعترافاً من جامعات مصر بالخدمات الجليلة التى أسداها كل منهم فى ناحية من نواحى الحياة العامة . ولكن الجامعة لم تأخذ بهذا الرأى ، وإن كانت قد منحت الأستاذ أحمد أمين بك هذه الدرجة فى ما بعد فى غير احتفال ولا احتفاء . .

وصفوة القول إن الجامعة فى حاجة إلى شىء من سعة الأفق فى التفكير ، فالشهادة لا تقوم صاحبها ولا ترفع من قدره الثقافى الفكرى . ومهمة القائمين على هذه المؤسسة العلمية الكبيرة أن ينقبوا عن ذوى الكفاءات ليستغلوها خير استغلال ، وليكن هذا التنقيب فى مصر أولا ، ثم فى الخارج ، لأن الفقهاء المصريين كثيراً ما يتميزون على أقرانهم من الذين « يستوردون » من الخارج . ولو ترك الأمر لى ، لعينت مثل الأستاذ نقولا الحداد أستاذاً لنظرية أينشتين فى كلية العلوم ، وعينت الأستاذ سلامه موسى أستاذاً لنظرية التطور فى ذلك المعهد ، وعينت الأستاذ فؤاد صروف أستاذاً للعلوم الذرية ، وعينت الأستاذ توفيق الحكيم أستاذاً للأدب الروائى ، وعينت الأستاذ الدكتور صبرى جرجس أستاذاً للسيكولوجية ... وهكذا . فهذه الكفايات المهملة لا ينبغى أن تظل مبعدة عن النطاق الجامعى ، ولا يصح أن تظل إما معطلة أو غير مستثمرة استثماراً ينفع الجيل الجديد .

ولقد قال لى الصديق الدكتور ابراهيم ناجى مرة : كان ينبغى أن تأمر فى الحكومة مع الأستاذ سلامه موسى والدكتور سعيد عبده فى مكتبة علمية وتطلب منا أن نصدرها دائرة معارف طبية ومصنفات علمية طبية . فحرام أن تشتت الجهود أو توزع القوى هكذا .

إن مهمة الجامعة هى مهمة مزدوجة : التوجيه والإعداد . وفى مصر من ذوى الكفاية من يرفعون قدر البلاد و « يطيلون عمرها » . وما على إدارة الجامعة إلا أن تضع هؤلاء فى موضعهم ليتمكنوا من إعداد الطلاب إعداداً طيباً .

وحينذاك لن نجد من يختلف على هل يعين الأستاذ لويات فى كرسى شوقى بك استجابة لاقتراح الأستاذ توفيق الحكيم ، أم هل يكون شاغله من نطاق الجامعة الحالى ؟

وديع فلسطين